سينما

حيوية سينما عربية في «مالمو»

مرايا بلاد وأفراد

تُقام الدورة العاشرة لـ«مهرجان مالمو للسينما العربية» في السويد بعد أسابيع، رغم تفشّي وباء كورونا، مُقدّمة أفلاماً حديثة الإنتاج

نديم جرجوره

يستعدّ «مهرجان مالمو للسينما العربية (السويد)» لإقامة دورته الـ10 بين 8 و13 أكتوبر/ تشرين الأول 2020. مؤسّسه ومديره محمد قبلاوي يُعلن مراراً أنّ التزام القواعد الصحّية، المفروضة بسبب كورونا، أساسيّ. الاحتفال بالسينما العربية يستمرّ في إشاعة مناخ فني، رغم أنّ عدد مشاهدي أفلامها متواضع، بينما السوق تشهد وفرة في المشاريع، وإدارة قبلاوي متمكّنةٌ من حثّ جهات إنتاجية على إعطاء سينمائيين وسينمائيات عرب منحاً تُساعد على إكمال ما يجهدون في عمْله، وفقاً لاختيارات لجان تحكيم خاصّة بها.

الدورة الـ10 هذه منتظرة منذ العام الماضي. الرقم يُثير رغبةً في احتفال سينمائي مختلف، لكن كورونا يُبدّل بعض الخطط، من دون أنْ يؤجّل الدورة أو يُلغيها. غالبيّة الأفلام المشاركة تعكس شيئاً من بيئاتٍ واجتماع وعلاقات وتأمّلات. أفلام حديثة الإنتاج، منها فيلمان مغربيان حاصلان على منح تمويلية من سوق المهرجان نفسه في دورتِه السابقة (8 ـ 14 أكتوبر/ تشرين الأول 2020): «من أجل القضية» لحسن بنجلون و«نساء الجناح ج» لمحمد نظيف. وإذْ يفتتح «آدم»، للمغربية مريم توزاني، الدورة الجديدة، فإنّ الجزائري «مطاريس»، لرشيد بن حاج، يختتمها، علماً أنّ «ليالٍ عربيّة» تكتفي بـ3 أفلام: «إلى بغداد» لأنور الياسري و«بغداد في خيالي» لسمير جمال الدين و«صندوق الدنيا» للمصري عماد بهات.

جنسيات عربيّة مختلفة لمخرجي الأفلام الـ12 (البرنامج الرئيسي) تقول شيئاً من حيوية اشتغال، من دون أنْ تُفْرز الحيوية نتاجات متشابهة في الجودة الفنية والجمالية والدرامية. بعض تلك الأفلام معروضٌ في مهرجانات ولقاءات وأحداثٍ سينمائية سابقة، ومُثير لتساؤلات وتأمّلات في أحوال السينما العربية الجديدة، تنبثق (التساؤلات) من اختبارات جدّية في التصوير والتمثيل والمعالجة والتقنيات، مع تغليب قلّة منها لموضوع أو تفكيرٍ في ذاكرة وتاريخ. فالمغربي حسن بنجلون يُريد قولاً في فلسطين وتمزّقاتها، عبر علاقة موسيقية بين فلسطيني وفرنسية يهودية ذات أصل مغربيّ، واللبناني وليد مونّس يستعيد لحظة الاجتياح الإسرائيلي للبنان (1982) ليكشف. من خلال «قصّة حبّ لطيفة» بين مراهِقَين. بعض معالم تلك المرحلة، اجتماعياً وسياسياً. لكنّ الموضوعين طاغيان كلّياً على الاشتغالات السينمائية، التي تفقد مفرداتها في أساسيات المهنة.

وإذْ تبدو الصورة في «ستموت في العشرين» للسودانيّ أمجد أبو العلا باهرة في التقاط نبض حكاية شاب يعيش هاجس موته الباكر منذ ولادته، فإن صورة «شارع حيفا» للعراقي مهند حيّال تكشف قسوة حربٍ تمزّق نفوساً وذواتٍ وعلاقات بشرية، مُطلَقةً، في الوقت نفسه، على ماضٍ يضغط على راهن الخراب. وفي مقابل سلاسة السرد والحكاية في «لما بنتولد»، للمصري تامر عزت، والحكاية رومانسية مبسّطة، وإضاءة مأزق واقعٍ ديني متصادم بين مسلمين وأقباط متوتّرة؛ تروي المصرية ماريان خوري، في «احكيلي»، تاريخاً شخصياً غير منغلق على محطات وتواريخ وحالات منبثقة من الحميميّ، ومنفلشةً على خارطة جغرافية وإنسانية وسينمائية متنوّعة.

للوثائقي العربيّ حضورٌ آخر، مع مشاركة

احتفالٌ بالسينما العربية يستمرّ في إشاعة مناخ فني

«الحديث عن الأشجار» للسوداني صهيب جاسم الباري، الذي يخوض بدوره مغامرة التنقيب في ذاكرة وتاريخ وسينما وجغرافيا وبيئة واجتماع، مع سينمائيين سودانيين يستعيدون ماضياً عريقاً لهم، قبل أنْ «تصمت» السينما في بلدهم سنين مديدة، سابقة على إعادة انطلاقتها مع جاسم الباري وأبو العلا، ومعهما مروى زين و«أوفساید الخرطوم» (وثائقي عن شابات يرغبن في كرة القدم ويواجهن قمع النظام العسكري الإسلامي) غير المُشارك في «مالمو». والوثائقي اللبناني «بيروت المحطة الأخيرة» لإيلي كمال غير منفصل عن حالة سينمائية عربيّة، متأتية من بحثٍ في ذاكرة بلدٍ ومدينة، وفي تاريخ عيشٍ وتفاصيل، لقراءة مسارٍ يصبّ في راهنٍ مُعطّل أو مرتبك أو طامحٍ إلى نفاذٍ من بؤس العيش وشقائه. وهذا غير مبتعدٍ عن الذاتي والحميميّ، وإنْ يتّخذ التعبير عنه في السياق الدرامي العام أشكالاً مختلفة. فكمال، في أول فيلم سينمائيّ طويل له، يروي حكاية السكك الحديدية والقطارات في لبنان منذ سنين طويلة، كاشفاً. في سرده هذا. أحوال بلدٍ مع احتلالات وانكسارات وتحوّلاتٍ وصدامات وتمزّقات ورغباتٍ. بينما يعتمد اللبناني أحمد غصين، في «جدار الصوت»، أول روائيّ طويل له بعد أفلام قصيرة وتجريبية مختلفة، على لقاء ماضٍ مدمّى براهنٍ يبدو أكثر خُطاماً وألماً وانشقاقات، من دون الخروج من لحظة «حرب تموز» الإسرائيلية على لبنان، في يوليو/ تموز. أغسطس/ آب 2006.

لقاء كهذا حاضرٌ في «بين الجنّة والأرض»، للفلسطينية نجوى نجّار. فالتوافق بين الزوجين على طلاق أحدهما من الآخر يؤدّي بهما إلى نبش ماضٍ غير قادر على أنْ يبقى ماضياً. واستعادته، أثناء البحث عن مستندٍ ضروريّ لإكمال معاملات الطلاق، يحثّ على نوعٍ من قراءة سينمائية لأحوالٍ مبطّنة وخفايا تُكشف شيئاً فشيئاً.

نماذج كهذه تُضاف إلى أفلام أخرى: «بيك نعيش» للتونسي مهدي برصاوي و«سيّد المدهول» للمغربي علاء الدين الجمّ و«المرشّحة المثالية» للسعودية هيفاء المنصور، بالإضافة إلى 26 فيلماً قصيراً.

مريم التوزاني تفتتح الدورة العاشرة بـ«آدم» (لويك فينانس/فرانس برس/Getty)

«امرأة السهوب»: البطء كفعل جماليّ

باريس ـ **ندى الأزهري**

«امرأة السهوب، الشرطي والبيضة» (Ondog)، عنوانٌ اختير لفيلم الصيني كونان وانغ في فرنسا، ويُعتبر نقطة ضعفه الوحيدة. في اللغة المنغولية، يشير العنوان إلى بيضة مُستحاثة للديناصور. ربما كان يمكن عنوَنة الفيلم بدقّة أكبر. لكنّ «سلالة الديناصورات» أو «الديناصورات الناجية» لن يكون لهما جاذبية «امرأة السهوب». والمرأة شخصية مركزية، وقوية البنية، ترعى بمفردها أغنامها في السهوب المنغولية اللامتناهية. في الدقائق الأولى، يتبيّن أنّ لها لقباً غريباً: الديناصور. أهمية اللقب تتبدّى قبيل النهاية، حين تلتقي مُحبّها التائه والسكّير والطيّب، الذي يُهديها مُستحاثة لبيضة ديناصور، ويبدأ شرحاً عفوياً، تزيح فيه قوّة الأسطورة الشعبية كلّ علم مُمكن. فالأراضي المنغولية أحد المهاد الأساسية لهذا الحيوان المنقرض. المنقرض؟ ليس تماماً. بحسب الراعية والمُحبّ الطيب، لم تختفِ الديناصورات، بل تحوّلت إلى بشرٍ يسكنون هذه السهوب، استجابةً لغريزة البقاء والنجاة. وإذا تمكّن هؤلاء البشر من البقاء، فإنّ سلالتهم ستتحوّل إلى ديناصورات تحيي أجدادها مرّة أخرى. وباستمرار دورة الحياة تلك، تبقى السلالة البشرية حيّة، وتنجو بنفسها.

إعادة المُشاهد إلى إنسانية تئنّ من هذا الوجود ولا تلعنه

في الحوار الغريب بينهما، وفي إعادة تركيبهما الشائكة لأسطورة قديمة، يُطرح سؤال البقاء. ليس فقط بقاء الشخصيات في عالمٍ، حيث الموت برداً أو نهشاً من الذئاب يُشكّل حدثاً غير استثنائي، بل بقاء السلالة البشرية، وبقاء هؤلاء البشر، حيث الوجود على هذه الأرض العارية محفوف بالمخاطر، وحيث تعود لهم مسؤولية الحفاظ على استمرارية الحياة. هناك أيضاً ما يتجاوز ذلك: البقاء نفسه، لكلّ شيء ولكلّ الكون. هذا الحوار الرئيسي متأتٍ من لحظةٍ انتهى الاثنان فيها للتوّ من مساعدة بقرة على وضع عجل صغير، كان مُهدّداً بالموت برداً في ليلةٍ قارسة. الحوار نفسه يأتي أيضاً في لحظة قرار اتّخذته الراعية، الحامل من رجلٍ عابرٍ هو الشرطي الشاب، الذي عرفت كيف تُغريه: عدم التخلّص من حملها، وتأسيس أسرة مع هذا المُحبّ المسكين والمخلص لها، والمُستعدّ دائماً لتقديم أي مساعدة تطلبها.

يُبنى الفيلم على خيار العيش والبقاء والتحلّي بالشجاعة، أو بالأحرى عدم التخلّي عنها في ظروفٍ قاسية للغاية، وعزلة قصوى، فأقرب قرية تقع على مسافة 100 كلم. إنّها إرادة استمرار حياةٍ ليست سهلة، حيث يجب إطلاق طلقات من بندقية قديمة لإبعاد الذئاب، والاعتناء بالقطيع عند كلّ فجر وغروب، والحذر من متطفّلين يحومون حول نساء وحيدات، ربما يتحوّلون فجأة إلى مجانين، أو مجرمين يرتكبون جريمة قتل، ستكون بداية السيناريو، إذْ يرتكبها سكّير بحقّ امرأة في السهوب البعيدة. حياة شاقّة، لكنّها غير تعيسة حيث الدفء قدر المستطاع في «يورت» (خيمة المنغول)، وحيث الوجوه تُضيء بابتسامة عند التفكير بالطفل الذي سيأتي ويكبر ويسعى إلى الاستمرار، هو أيضاً.

النص الكامل
على الموقع الإلكتروني

دولامياف انخايفاف: راعية «امرأة السهوب» وممثلتها (مانويل رومانو/نورفوتو/Getty)

أقوالهم

كنتُ أتصوّر مستقبلي في شكل حياة تافهة بين أناس تافهين ومُثيرين للضجر. لم يكن يكفيني أنْ ينحصر انشغالي في الجهود التي يجب بذلها لكسب المعيشة. كانت تلك حياة عبودية ينقصها السحر. كانت الكآبة تأخذ طريقها إلى نفسي، والشعور بعدم الرضى.

تشارلي شابلن

تستطيع السينما دائماً طرح مواضيع القضية الفلسطينية وأسئلتها بجرأة وعمق. تستطيع بالصورة (التي تساوي 10 آلاف كلمة)، نقل الحقائق، مهما كانت مريرة ومفجعة، ومهما كانت كارثيّة الإيقاع. القضية الفلسطينية تحتاج دائماً إلى السينما، على الأقلّ من أجل تكوين رأي عام، ومن أجل خدمة أهداف عليا، كشرح القضية ومعالجة الصراع العربي الصهيوني وإبراز معاناة الفلسطينيين وفضح لاشرعية الكيان الصهيوني.

بشار إبراهيم

أفعالهم

«من أجل القضية» لحسن بنجلون، تمثيل **رمزي مقدسي** (الصورة) وجولي دراي: يلتقي الفلسطيني كريم بالفرنسية سيرين (يهودية من أصول مغربية) في رحلة يُفترض بها أن تكون موسيقية بحتة، لكنّ مشاكل بسيطة تحول دون تمكّنهما من عبور الحدود بين المغرب والجزائر، ما يُتيح لهما مزيداً من التعارف، ومن استعادة جوانب كثيرة من الواقع الفلسطيني والعلاقة بين اليهود والعرب.

«نساء الجناح ج» لـ **محمد نظيف** (الصورة): نساء من أعمار مختلفة ومن بيئات اجتماعية متنوّعة يلتقين في مشفى للاضطرابات العصبية والعقلية، فتنشأ صداقة بينهنّ مع مرور الوقت، تتيح لكلّ واحدة منهنّ . بعد نفور وابتعاد . كشف ذاتها، وحكايتها وتاريخها وعلاقاتها بأهلٍ وأقارب واجتماع، أمام الأخريات، في إطار سينمائيّ سلس وعميق.

أخبار

◆ أصدرت المجلة الفرنسية Valeurs، ضمن «مجموعة استعراض العالم»، عدداً خاصّاً بعنوان «دولون بلموندو: ملحمة فرنسية»، في 132 صفحة، يتضمّن مقالات وشهادات وحوارات وصُورا فوتوغرافية ملوّنة وبالأسود والأبيض، لهذين النجمين اللذين أثارا سحراً وجدلاً في السينما الفرنسية وخارجها، طوال أعوام مديدة من العمل والنجومية والأحداث. وهذا رغم عدم مشاركتهما معاً في أفلام كثيرة، فالمشترك بينهما لا يتعدّى عدده 7 أفلام فقط، رغم صداقة ناشئة منذ 62 عاماً. على غلاف العدد، صورة لهما معاً، بالإضافة إلى صورة صغيرة لبريجيت باردو وعنوان حوار معها يقول: «آلان، جان . بول وأنا...». عدد غنيّ بالمعلومات والنقاشات والمستندات والصور والأرشيف، مُثيرة للقراءة والاطّلاع.

◆ ذكر تقرير لـ«فرانس برس» أنّ النساء ونضالاتهنّ المختلفة «محور» أفلامٍ عدّة مشاركة في المسابقة الرسمية للدورة الـ77 (2 إلى 12 سبتمبر/أيلول 2020) لـ«مهرجان فينيسيا السينمائي».

وبحسب التقرير، فإنّ المهرجان، «الذي انْتُقد في الأعوام الماضية بسبب غياب المساواة بين الجنسين في خياراته»، أبدى اهتماماً ملحوظاً بالمسألة، باختياره 8 مخرجات من أصل 18 سينمائياً. أضاف التقرير: «لا يزال الجدل حول مكانة النساء يتصدّر النقاش العام، منذ حملة «مي تو» المناهضة للتحرّش الجنسي العاصف بالسينما»، لافتاً النظر إلى أنّ «لا موسترا» مليءٌ بنساء مؤثّرات في دورته تلك: إليانور ماركس، ابنة كارل ماركس، تظهر في «مس ماركس» للإيطالية سوزانا نيكياريلّي، كتحية للنضال النسوي، بمزج الموسيقى المعاصرة بصُور مستلّة من القرن الـ19، ومتأرجحاً كبطلته بين منطق وعواطف. والابنة الصغرى لماركس من أوائل الناشطات النسويات، اللواتي دمجن النضال للمساواة بين الرجل والمرأة، في صراع الطبقات الاجتماعية، أواخر ذاك القرن. في مجال التمثيل، تميّزت البريطانية فانيسا كيربي بـ«دور رئيسي» في فيلمي «ذو وورلد تو كام» (امرأة في أميركا القرن الـ19 أيضاً، تحتال على زوجها الغيور لتكون مع عشيقتها، كاثرين واترستون)، و«مونا فاستفولد» (تحرير المرأة): «منذ فترة غير بعيدة، لم تكن المرأة قادرة على أنْ تُقرّر كيف ستمضي يومها، ومن ستحبّ».